﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ [ص: 15]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

تهديدُ مشركي مكَّةَ بنزول العذاب بهم كما نزل بالأحزاب مِن قبلِهم

لَمّا أشعرَ قولُهُ تعالى في الآية السّابقةِ: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ بتهديدِ مُشْركي قُريشٍ بِعَذابٍ يَنتَظِرُهُم، جَريًا عَلى سُنَّةِ اللّهِ في جَزاءِ المُكَذِّبينَ رُسُلَهُ؛ ناسبَ أن يَعطِفَ عَلى جُمْلَةِ الإخبارِ عَن حُلولِ العَذابِ بالأحزابِ السّابِقينَ جُملَةَ تَوَعُّدٍ بِعَذابِ الَّذينَ ماثَلوهُم في التَّحَزُّبِ والتَّكذيبِ[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَنظُرُ﴾: (نظر) أصلٌ صَحيحٌ يَرْجِعُ إلى مَعنًى واحدٍ، هو: تَأمُّلُ الشَّيءِ ومُعايَنَتُهُ، ثُمَّ يُستَعارُ، ويُتَّسَعُ فيهِ، فَيُقالُ: نَظَرْتُ إلَى الشَّيءِ أنظُرُ إلَيهِ: عايَنْتُهُ، ويُقال: نَظَرْتُ الشَّيْءَ: انْتَظَرْتُهُ، كَأنَّهُ يَنظُرُ إلَى الوَقْتِ الَّذي يأتي فيهِ[2]، والنَّظَرُ: الانتِظارُ، قال تعالى: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢﴾ [هود: 122]، وقال: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ١٠٢﴾ [يونس: 102][3].

2) ﴿صَيۡحَةٗ﴾: (صيح) أصلٌ صَحيحٌ، هوَ: الصَّوْتُ العالي، ومِنهُ الصّياحُ، والواحِدَةُ: صَيحَةٌ[4]، وهي: رفع الصَّوت بشدَّة، قال تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [يس: 29]، وقال أيضًا: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [ق: 42]، أي: النَّفخ في الصّور، وأصلُه: تشقيقُ الصَّوت، مِن قولهم: انصاحَ الخشبُ، أو الثَّوب؛ إذا انشقَّ، فسُمِع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 223.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).
(3) الراغب، مفردات اللغة: (نظر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صيح).

منه صوتٌ، ولمّا كانت الصَّيْحَةُ قد تُفزِع؛ عبَّر بها عن الفزعِ في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۝٧٣﴾ [الحجر: 73][1].

3) ﴿فَوَاقٍ﴾: (فوق) أصلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما عَلى عُلوٍّ، والآخَرُ عَلى أوْبَةٍ ورُجوعٍ، قالَ اللَّه تَعالى: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾[2]، وفيه ثلاثةُ أقوال: أحدُها: رجوعٌ، أي: لا يرجعون بعدها إلى الدُّنيا، وهو على هذا مشتقٌّ مِن الإفاقةِ. الثاني: ترداد، أي: هي واحدةٌ لا ثاني لها. الثالث: ما لها من تأخيرٍ ولا توقُّفٍ مقدارَ فواق ناقة، وهو ما بين حَلبتيها[3].

## ❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المشركون ينتظرون صيحةً لا فَواق بعدها

توضِّحُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ مشركي مكَّة لا ينتظرون إلّا صَيْحَةً واحِدَةً، ينفُخُها إسرافيلُ في الصّور، فَإذا هُم مِنَ الأجداثِ إلى رَبِّهِم يَنسِلونَ، وهي نفخةٌ سريعةُ الوقوع ليس لها توقُّفٌ ولا انتظارٌ، ولها ميعادٌ حددَّه اللّهُ تعالى لنْ تتأخَّرَ عنه، أو تتقدَّمَ عليه، كما أنَّها صيحةٌ واحدةٌ، ليس بعدها عودةٌ إلى الدُّنيا، ويتمُّ بعدها كلُّ شيء يتعلَّق بالبعث والجزاء والعقاب[4].

## ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

### معنى الواو ودلالتها في: ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾:

عقابُ الله حالٌّ بالمشركين، لا شكَّ فيه

الواو في قولهِ تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ﴾ يمكن أن تكونَ استئنافيَّة، والكلامُ بعدها مستأنفٌ مسوقٌ لتقرير عقاب كفّار مكَّة، بعد بيان عقاب من سبقوهم في الغواية[5]، ويمكن أن تكونَ الواو لعطفِ ما بعدها عَلَى جُمْلَةِ: ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾، بغرض تخويف مشركي مكَّة

(1) الراغب، مفردات اللغة: (صيح).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فوق).
(3) السيوطي، معترك الأقران: 3/ 90.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 140.
(5) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 338.

وتهديدهم باستحقاق العذاب، كما استحقَّه السابقون عليهم؛ بسبب مماثلتهم لهم في تكذيبِ الرَّسول والتَّحزُّبِ ضدَّه.

### دلالةُ التَّعبير بالمضارع ﴿يَنظُرُ﴾:

المشركون يتوقَّعون نزولَ العذابِ بهم لتأكُّدهم مِن استحقاقِهم له

عبَّر النَّظمُ عن انتظار مشركي مكَّة نزولَ العذابِ بهم، كما نزل بمَن سبقَهم، بالفعل المضارع: ﴿يَنظُرُ﴾، ومعناه: ينتظرون، وجعلَهم النَّظمُ منتظرين للعقاب مع أنَّهم لم ينتظروه على سبيل الحقيقة؛ للإشعار بتحقُّق وقوعه، وأنَّهم بصدد لقائِهِ، فهُم لذلك في حكم المنتظرين له، كأنَّهم يتوقَّعونه، ويعتقدون قربَهُ منهم؛ بسبب ما كانوا فيه من شدَّةِ العناد والتَّصميم على الكفر والاستكبار عن الإذعان للحقِّ، وتعاطي جميع أسباب العذابِ، وثمَّة دلالةٌ أخرى تفيد أنَّهم لمّا كانوا يعرفون صِدق الآتي إليهم، ويقطعون بصحَّة ما يقول؛ صاروا كأنَّهم يرون وقوعَ العذابِ، لكنَّهم لا يرجعون[1] عن الأسبابِ الموجِبة له.

### الغرضُ مِنَ التَّعبير عن الفاعل باسم الإشارة:

تحقيرُ شأنِ المُشار إليه وصون اللِّسان عن ذكره

﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ اسمُ إشارةٍ يحتمل أن يعود إلى كُفّارِ قُريشٍ؛ لأنَّ تَجَدُّدَ دَعْوَتِهم ووعيدِهم وتَكذيبِهم يَومًا فَيَومًا جَعَلَهُم كالحاضِرينَ، فَكانَتِ الإشارَةُ مَفهومًا مِنها أنَّها إلَيهِم[2]، ويحتمل أن تكونَ الإشارةُ إلى "جميع الأحزاب لاستحضارِهم بالذِّكر، أو لأنَّهم كالحضور عند اللّه"[3]، والاحتمال الأوَّل أقوى وأكثر مناسبةً للسّياق؛ لأنَّ القرآنَ إذا استَعمَلَ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾، ولَم يَكُنْ مَعَهُ مُشارٌ إلَيهِ مَذكورٌ؛ كان المقصودُ به المُشركينَ مِن أهلِ مكَّة[4]، وأيًّا كان المشارُ إليه، فالغرضُ مِنَ التَّعبيرِ عن الفاعل به دون الاسم الصَّريح هو تحقيرُ شأنهم، وازدراء فِعلهم، وصون اللِّسان عن ذِكرهم.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 345، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 12/ 140.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 223.
(3) الزمخشري، الكشاف: 4/ 77.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 223.

### نوعُ المجازِ في إسناد فعل الانتظار إلى المشركين ودلالتُه:

عذابُ الكافرين مُحَقَّقٌ وقوعُه وهم بصدد لقائِهِ

في إسنادِ فعلِ الانتظارِ إلى اسم الإشارةِ العائدِ للمشركين - في حينِ أنَّهُم غافلونَ عَن ذَلِكَ، ومُكَذِّبون بِظاهِرِهِ - مَجازٌ عَقْلِيٌّ، علاقته المفعوليَّة؛ لأنَّ الحقيقةَ التي يستندُ إليها: أنَّ المسلمينَ يَنتَظِرون نزولَ ذلك بهم، أو يَنتَظِرُ نزوله بِهِمُ المَلائِكَةُ المُوَكَّلونَ بِحَشْرِهِم عِندَ النَّفخَةِ، فَلَمّا كانوا مُتَعَلَّقَ الانْتِظارِ؛ أُسْنِدَ الفِعْلُ ﴿يَنظُرُ﴾ إلَيهِم لِمُلابَسَةِ المَفعوليَّةِ عَلى نَحوِ قولِه تعالى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾ [الحاقة: 21]؛ للإشعارِ بتحقُّق وقوعِه، وأنَّهم بصددِ لقائِه، كما سبق بيانه.

### دلالةُ التَّعبيرِ عن المفعول بـ ﴿صَيْحَةً﴾ نكرة:

الصَّيحةُ الَّتي ستنزل بالمشركين ستكون عظيمةً صاعقةً

عبَّر النَّظمُ عن مفعول فعل الانتظار بـ ﴿صَيْحَةً﴾ نكرة منوَّنة؛ للدَّلالةِ على أنَّه تهديدٌ لمشركي مكَّة بِصَيحَةٍ عظيمة صاعِقَة، كَصَيحَةِ ثَمودَ، أو صَيْحَةِ النَّفخِ في الصّورِ الَّتي يَقَعُ عِندَها البَعثُ لِلجَزاءِ[1]، "والمَعنَى: أنَّهُم وإن لَم يَذوقوا عَذابي في الدُّنْيا؛ فَهوَ مُعَدٌّ لَهُم يَومَ القيامَةِ، فَكَأنَّهُم بِذَلِكَ العَذابِ، وقَد جاءَهُم، فَجَعَلَهُم مُنْتَظِرينَ لَها عَلى مَعنَى: قُربِها مِنهُم"[2].

### بلاغةُ التَّعبيرِ بأسلوب القصرِ بالنَّفي والاستثناء:

الإثارةُ والتَّشويق إلى ما يأتي بعد إلّا

التَّعبيرُ بالنَّفي والاستثناء في قوله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً﴾ يمنح البيانَ مزايا كثيرة، منها: الإثارةُ والتَّشويقُ إلى المفعول الذي يأتي بعد ﴿إِلَّا﴾، والموضِّح حقيقة ما ينتظر المشركون وقوعَهُ ولحاقَهُ بهم من العذاب جزاءَ عنادِهم وتكذيبِهم، فإذا وردَ المفعول بعد تطلُّع النُّفوس إليه؛ ثبت فيها، وتمكَّن منها، وساعد على ردعِها وزجرها؛ لأنَّ المعنى إذا أُلقي على سبيل التَّشويق؛ تطلَّعت النَّفسُ إلى معرفتِهِ على سبيل التَّصريح، فتتوجَّه إلى ما يرد بعد

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 223.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 372.

ذلك، فإذا أُلقي؛ تمكَّن فيها فضلَ تمكُّنٍ، وكان شعورُها به أتمَّ، وتأثُّرُها به أشدَّ.

قصرُ الصِّفة على الموصوف

وفي التَّعبيرِ بأسلوب النَّفي والاستثناءِ في قوله: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ﴾ قصرَ النَّظمُ الكريمُ ما ينتظره المشركون مِنَ العذاب - الذي حلَّ بمَنْ كانوا قبلَهم مِن المتحزِّبين - على الصَّيحة الَّتي تأخذهم على غرَّة، ولا تترك لهم فرصةً كي يفيقوا، ويرجعوا عمّا هم فيه مِن تكذيبٍ وتحزُّبٍ، ويدخلوا في زمرة المؤمنين المصدِّقين، وأوثرَ التَّعبير بالنَّفي والاستثناء طريقًا للقصر؛ لما يمتاز بهِ مِن إبلاغٍ في التَّأكيد، يناسب المخاطَب الَّذي يتمسَّك بما هو فيه أشدَّ التَّمسُّكِ، وينكر العزوفَ عنه إلى غيرِه أشدَّ الإنكار، من خلال نفيه أن ينتظرَ المشركون أيَّ شيءٍ أوَّلًا، ثمَّ قصر انتظارَهم على الصَّيحة الصاعقة المباغتة ثانيًا، ولذا قال العلماء: إنَّ التَّعبيرَ بالنَّفي والاستثناء يكون في الأمر الَّذي ينكره المخاطَب، ويشكُّ فيه[1].

### سرُّ تقييدِ المفعول بـ: ﴿وَٰحِدَةٗ﴾:

الصَّيحةُ الَّتي ستنزل بالمشركين ستهلكهم دفعةً واحدةً

في وصف الصَّيحة بأنَّها ﴿وَٰحِدَةٗ﴾ إشارَةٌ إلَى أنَّ الصّاعِقَةَ الَّتي ستحلُّ بالمشركين ستكون عظيمةً مُهلِكةً، ولن تحتاجَ إلى تكرار؛ لأنَّها ستقضي عليهم دفعةً واحدةً، أو أنَّ النَّفْخَةَ واحِدَةٌ لا ثاني لها، وهي نَفْخَةُ البعث، وفيه من الإرعاب والتَّخويف ما يدفع ذوي العقل إلى التَّفكُّر المفضي إلى الإقلاعِ عمّا هم فيه مِن تحزُّبٍ وتكذيب، ويدعو إلى الإيمان والتَّوحيد.

### دلالةُ وصف الصَّيحة بالجملة الاسميَّة:

وصف البيانُ القرآنيُّ الصَّيحة بجملة: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾؛ للدَّلالة على سرعتها، وعدم توقُّفها[2]، وأنَّها لا تترك فرصةً لأحدٍ

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، ص: 332.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 165.

كي يفيقَ، ويتراجعَ عمّا هو فيه، والمعنى: لَيسَ بَعدَها إمهالٌ بِقَدْرِ الفَواقِ[1]، أو: ما لها من رجوعٍ، كما يرجع اللَّبن في الضِّرع عن الفَواق، وكما يرجعُ المريض بالإفاقةِ مِن المرضِ إلى الصِّحَّة، أو ما لها مِن انفصالٍ وافتراقٍ، بقدر ما يتنفَّسُ فيه أحدٌ أقلَّ تنفُّسٍ وأقصره زمنًا، كما هي عادةُ الأصوات المألوفة، يكون فيها ترجيعٌ يوجب في الصَّوت تقطُّعًا يصير به وقعه ضعيفًا فاترًا[2]، وفيه ما يدعو المستمعين إلى التَّوبة والإنابة قبلَ وقوعِ الصَّيحة، لاستحالة حصول ذلك في وقتِها.

القرآنُ يدعو المستمعين إلى التَّوبة والإنابة قبل وقوع الصَّيحة

### الغرضُ مِن تقديم ﴿لَهَا﴾:

في جملة: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ قَدَّمَ النَّظمُ الكريم الجارَّ والمجرور: ﴿لَهَا﴾ على قوله: ﴿مِن فَوَاقٍ﴾؛ لأهمّيَّة إعلام المستمعين بأنَّ مِن خصائص الصَّيحة وسماتها أنَّها واحدةٌ، لا ثاني لها، وأنَّها أيضًا سريعةٌ لا تمنح أحدًا فرصةً للإفاقة والعودة؛ لِما للإعلام بهذه الخصّيصة مِن أثرٍ بالغٍ في التَّخويف والارتداع.

الصَّيحةُ المنتظرة سريعةٌ لا تمنح أحدًا فرصةً للإفاقة والعودة

### معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها في ﴿مِن فَوَاقٍ﴾:

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن فَوَاقٍ﴾ حرفُ جرٍّ يفيد تأكيدَ انتفاءِ الفواق عن الصَّيحة بأيِّ شكلٍ من الأشكال، وبأيِّ صورةٍ من الصّوَر؛ إذ من الممكنِ أنْ يتبادرَ إلى الذِّهن أنَّ لها ارتدادًا يُمنَح فيه المعذَّبون بها فرصةً للإفاقة والتَّوبة، فجيءَ بحرف الجرِّ لنفي ذلك نفيًا قاطعًا مؤكَّدًا.

عذابُ الظّالمين أليمٌ شديدٌ

### الغرضُ مِن تنكير ﴿فَوَاقٍ﴾:

أوثِرَ التَّعبيرُ بالاسم المجرور: ﴿فَوَاقٍ﴾ نكرة؛ لما يفيدهُ التَّنكير من التَّقليل، ما يعني: انتفاءَ أن يكونَ للصّيحة فواقٌ، ولو بأقلِّ مقدارٍ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 224.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 346.

## ❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

### النَّظر والبصر:

الأوَّل يـدلُّ على التَّأمُّل والانتظار، والثّاني يدلُّ على الوضوح

النَّظَرُ يدلُّ على تَأمُّلِ الشَّيءِ ومعاينتِهِ، ثُمَّ يُسْتَعارُ، ويُتَّسَعُ فيهِ، فيقالُ: نَظَرْتُ إلى الشَّيءِ أنظُرُ إليهِ: عايَنْتُهُ، ويُقال: نَظَرْتُ الشَّيءَ: انتَظَرْتُهُ، كَأنَّهُ يَنْظُرُ إلى الوَقْتِ الَّذي يَأْتي فيهِ[1]، ومنه النَّظَرُ بمعنى: الانتظارِ، قال تعالى: ﴿وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [هود: 122][2]، والبَصَرُ أصلُهُ من الوضوح، ومنه: أبصرتُه لمحًا باصرًا، أي: بصرًا واضحًا، ويُطلق على البصرِ بالقلب، والبصرِ بالعين (الرُّؤية)، والبصرِ بالحجَّة[3].

ولمّا كانت الآيةُ تتحدَّث عمّا ينتظرهُ المشركون من عذاب، ويتوقَّعون نزوله بهم بين وقتٍ وآخر؛ ناسبَ التَّعبير بمفردة (النَّظر)؛ للدَّلالة على التَّرقُّب، وتأكُّد الحصول كالأشياء المنظورة المشاهدةِ، بخلاف مفردةِ (البصر) الَّتي تخلو مِن معنى الانتظار والتَّرقُّب، وتجعل الجانب النَّفسي مِنَ العِقاب غير مُحَقَّقٍ، وبه يكون الخبرُ غيرَ وافٍ بالرَّدع والتَّهديد الذي تقصد إليه الآية الكريمة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نظر).
(2) الراغب، مفردات اللغة: (نظر).
(3) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 124، 123.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»